جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الرابع والأربعون
الجزء الأول / آب /٢٠٢١

الفكر السياسي للحركات الصوفية لنقشبندية في العراق انموذجاً

م. مؤيد جبار حسن
مركز الدراسات الاستراتيجية / جامعة كربلاء
Mjjj57@yahoo.com

ملخص البحث

تنوعت التيارات الدينية التي خرجت من عباءة الدين الاسلامي ، بحيث من الصعب ان يجمعها مؤلف واحد بين دفتيه، ومن بين تلك التيارات الحركات الصوفية . والصوفية اختلف في اسمها كما اختلف في كل شيء فيها ، فلذلك كان لها انصار وايضا مبغضين واعداء. ومن بين الحركات الصوفية ، النقشبندية ، التي انتشرت في بقاع كثيرة ، وما يهمنا النقشبندية في العراق ، ما قبل وبعد عام ٢٠٠٣.حيث حاولنا تقصي الفكر او التوجهات السياسية لتلك الجماعة ، وماهو تأثيرها على الواقع العراقي .

الكلمات المفتاحية: الصوفية ، النقشبندية ، ٢٠٠٣، العراق

The political thought of the Sufi movements
The Naqshbandi in Iraq as a model

Muayad Jabbar Hassan
Center for Strategic Studies \ Karbala University
Mjjj57@yahoo.com

Research Summary

So many religious currents that emerged from the crucible of the Islamic religion, so that it is difficult for one author to collect them between his two covers, and among those currents are the Sufi movements. Sufism differed in its name as it differed in everything about it, so it had supporters as well as haters and enemies. Among the Sufi movements, the Naqshbandi, which spread in many places, and what concerns us is the Naqshbandi in Iraq, before and after 2003. Where we tried to investigate the thought or political orientations of that group, and what is its impact on the Iraqi reality.

Keywords: Sufism, Naqshbandi, 2003, Iraq

المقدمة

عني التصوّف لدى جمهور الدّارسين ببحوث كثيرة من جوانب متعدّدة، فانصبّت جهودهم نحو سيرة المتصوّفة وهو ما يظهر في المصنّفات الّتي تؤرّخ لطبقات الصّوفية وتراجمهم، وانكبّوا يدرسون ظواهر التصوّف المختلفة، اما دراستنا هذه فتتجه إلى منحى آخر من مناحي البحث وتختصّ الفكر السياسي لدى الحركات الصوفية في العراق، مع التركيز على الحركة النقشبندية ، لاسباب سيتم توضيحها لاحقا .

ان الحركات الاسلامية دخلت مضمار السياسة ، وأثرت وتأثرت ، بمحيطها الاجتماعي والاقتصادي ، كذلك الصوفية ، التي لا زال ينظر لها من زوايا خاصة محددة لها .

مشكلة الدراسة: اثارت الحركات الصوفية الكثير من الجدل على الساحة الفكرية ، فمنهم من اتهمها بشتى العيوب والنقائص ومنهم من رفعها الى درجة التمثيل الحقيقي للدين الاسلامي. ومن بين تلك الحركات كانت النقشبندية التي صعد صيتها بعد عام ٢٠٠٣ في العراق المعاصر ، بحكم مقاومتها للاحتلال الامريكي والمتعاونين معه. االسؤال الذي يثار هنا : ماهو الفكر السياسي للنقشبندية والذي يحركها في عالم السياسة ومقاومة المحتل؟

اهمية الدراسة: رغم ما نال مجال التصوف من اهتمام وعناية الباحثين ، الذين تناولوه من شتى نواحيه، لكن يبقى ان دراسات المنهج الصوفي عامة ما زالت في بداياتها واغلبها اتجه الى دراسة المنهج الصوفي عند أحد اعلام التصوف، وتندر البحوث التي تتناول طريقة من الطرق الصوفية ، وخاصة الفكر السياسي لاحد تلك الطرق، والتي هي هنا النقشبندية في العراق.

منهج البحث: ان هذه الدراسة تعنى في المقام الاول بالبحث في الفكر السياسي لجماعة من جماعات الاسلام الصوفي ، الا وهي النقشبندية . والتي لم تحظ حتى الان بعناية كافية من قبل الباحثين العراقيين والعرب ، في مجال السياسة والفكر السياسي.

كما تسعى هذه الدراسة الى ان تكون تحليلية ، تهدف الى تحليل ما وصل الينا من اقوال وكلمات وعلوم أعلام هذه الطريقة الصوفية ، بما يكشف عن اصولها الفكرية والسياسية التي جعلتها تدخل معترك السياسة خاصة بعد عام ٢٠٠٣.

كأنها تستفيد من المنهج التاريخي في خطواتها للوصول الى نتائجها ، دون الايغال في الافتراض والتخيل، بل تبني فروضها ومقدماتها على اسس الواقع الحاصل والحقيقي من أمر الطريقة النقشبندية ونصوصها وكلمات شيوخها وامهات مصادرها .

فرضية البحث: وتنفترض الدراسة ان هناك فكرا سياسيا يتحكم بافعال واقوال الحركات الصوفية وخاصة بالحركة النقشبندية في العراق ، قبل عام ٢٠٠٣ وبعده ، حيث تغيرت المعادلات الداخليو والاقليمية والدولية.

الهيكلية التي اعتمدها البحث هي : في البدء مقدمة لعرض مبسط للموضوع ، ثم في المبحث الاول: ماهية الحركات الصوفية من خلال تسليط الضوء اولا على التعريف ثانيا : الاصول ثالثا: النهايات. اما المبحث الثاني فسنتناول النقشبندية في العراق ، عبر محاولة التعريف بها اولا ، ودراستها ثانيا: قبل عام ٢٠٠٣، و ثالثا : بعد عام ٢٠٠٣. واخيرا المبحث الثالث عن الفكر السياسي للنقشبندية، عبر الاطلاع على بداياته ، ثانيا: المفكرين فيه ، وثالثا: المستقبل ، وبعدها الخاتمة والمصادر.

المبحث الأول: ماهية الحركات الصوفية

تمثل الطرق الصوفية ظاهرة دينية بارزة في تاريخ المجتمعات الإسلامية؛ حيث إن هذه الطرق نشأت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام وظلت طوال القرون الماضية تنتشر وتتوسع داخل بلاد المسلمين، ويتعاظم تأثيرها الديني ونفوذها الاجتماعي. وقد جسدت هذه الطرق في الدول العربية خلال الحقبة الاستعمارية طليعة المقاومة الثقافية للغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية، وقاد بعض زعمائها جبهات عسكرية مسلحة ضد المستعمر؛ مثل المجاهد الحاج عمر تال الفوتي أحد أبرز شيوخ الطريقة التجانية في السنغال والأمير عبد القادر في الجزائر والشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل في موريتانيا .

ان الناس اختلفوا في بدء ظهور هذه الكلمة واستعمالها كاختلافهم في أصلها وتعريفها، فذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في هذا : ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الاولى، وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الائمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل، وابي سليمان الدارني وغيرهما، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري.(احسان ابهى، ١٩٨٦،ص٤٠)

ويعتبر التصوف قطاعا رئيسا ومهما من قطاعات الفكر العربي الاسلامي، وهو يدخل في الشخصية الخاصة بهذا الفكر ، فلو رجعنا الى الامام الغزالي ، لوجدناه في كتابه "المنقذ من الظلال" قد أخذ بالتقسيم الذي يصنف الطالبين للحق الى أربع فرق وهي: المتكلمون، الباطنية والفلاسفة ثم الصوفية، وإذا اخذنا بالتقسيم الرباعي للتراث الفكري الاسلامي الى الفلسفة وكلام وأصول فقه ، وتصوف ، او

أي تقسيم فسوف نجد أن التصوف يحتل مكانة هامة في الفكر العربي الاسلامي.(بلحمام نجاة، ٢٠١٢، ص ب)

اولا : التعريف:

قبل أن نبحث في موضوعة التصوف نريد أن نذكر أصل اشتقاقه، من أين أشتق؟ وكيف كان اشتقاقه؟ واختلاف الباحثين والدارسين فيه والصوفية انفسهم أيضا، فالصوفية أسم أطلق عليهم واختلف في أصله وفي مصدر أشتقاقه، ولا زالوا مختلفين فيه حتى اليوم.

فلقد نقل الطوسي أبو نصر السراج في كتابه الذي يعد أقدم مرجع صوفي ، عن الصوفية انه قال: (كان في الأصل صفوى ، فاستثقل ذلك، فقيل: صوفى – ويمثل ذلك نقل عن أبي الحسن الكماد : هو مأخوذ من الصفاء). وينقل الكلابذي أبو بكر محمد الصوفي المشهور عن الصوفية أقوالا عديدة في أصل هذه الكلمة واشتقاقاتها ، فقال : قالت طائفة : إنما سميت الصوفية لصفاء اسرارها ، ونقاء آثارها . وقال بشر بن الحارث : الصوفى من صفت لله معاملته ، فصفت له من الله عز وجل كرامته.وقال قوم : انما سموا صوفية لانهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم اليه، وإقبالهم عليه، ووقوفهم بسائرهم بين يديه.(احسان ابهى،١٩٨٦،ص٢٠)

كذلك اختلف في المعنى اللغوي لكلمة تصوف، فمنهم من عدها مشتقة من كلمة (تيو صوفي) اليونانية التي تعني الحكمة الإلهية، أو نسبة إلى (الصوف) لباس العارفين الأوائل، الذين اتخذوه دليلاً على الزهد والتقشف والتواضع وكبح جماح النفس ، بينما عده آخرون مأخوذا من (الصفاء) الذي يعني خلوص النفس من الشهوات، لان علم التصوف يهتم بصفاء القلب عن الامور الدنيوية كحب الرئاسة والنفوذ، وسموه عن الصفات المرذولة كالحقد والحسد والعجب والغرور وسواها، وقد عد البعض هذه الكلمة دخيلة على اللغة العربية ووافدة من الديانات والثقافات الأخرى، فهي لم تستخدم في صدر الاسلام والعهد الراشدي والخلافة الأموية، إنما ولدت واستحدثت في العهد العباسي الأول، بعد أن زاد الاختلاط بين العرب والفرس. (فاهم نعمة وحسنين عبد، بلاتاريخ، ص١٥٦) لذلك نرى ان هناك من يرجع اصول التصوف الى بلاد فارس.

وتم تصنيف تعريفات التصوف الى ثلاث مجالات: مجال يربط التصوف بالسلوك او الاخلاق ، ومجال يربطه بالنسك وصور العبادات ، وينصب الاهتمام في هذا المجال على الجانب العملي المتمثل في الطقوس والشعائر الدينية مع تحقيق جوهرها الروحي الحيوي، والمجال الثالث يربط التصوف بالمعرفة والمشاهدة ، وهو يولى عناية فائقة بالجانب النفسي والعقلي في التصوف . ومن

التعريفات المختلفة للتصوف يتضح اتصال التصوف –باعتباره مجالا للحياة الروحية– اتصالا وثيقا بمختلف العلوم كالأخلاق والنفس والفلسفة والاجتماع.(منال عبد المنعم،١٩٩٠، ص١١٤)

وحول سؤال لماذا هذا التعدد في تعريف التصوف؟ يجيب د. محمد أبو رمان : ان جواب هذا السؤال يعد بحد ذاته مفتاحا ذهبيا للولوج الى مفهوم التصوف ، وذلك أنه يقوم في الأصل على تعدد مصادر المعرفة وتنوعها، وتمازجها مابين النصوص القرآنية والنبوية والآثار (ما نقل عن الصحابة والتابعين والصالحين) من جهة وبين المعرفة الذاتية الذوقية لكل فرد خاض طريق التصوف وعاش فيه ، ودخل في أحوال روحية ووجدانية، جعلت من تجربته الشخصية تجربة خصوصية ، فقام بتقديم تعريف خاص لمعنى التصوف يرتبط بهه "التجربة الروحية الذاتية" .(محمد ابو رمان، ٢٠٢٠، ص٢٤)

التصوف ، عند السيد عثمان نوري طوباش ، هو جوهر الاسلام وروحه، وهو طريق الكمال والتطهر المعنوي الذي يسير فيه المرء ساعيا لجعل القرآن الكريم والسنة النبوية أساسا ومنطلقا له في كل مرحلة من مراحل حياته، وهو لبّ الاديان السماوية كلها، وهو الفيوضات والروحانيات التي تنعكس على القلوب المليئة بالمحبة ، والتي بدأت بعد ان نفخ ربنا تعالى في سيدنا آدم عليه السلام من روحه، وبلغت ذروتها عند نبي اخر الزمان محمد صلى الله عليه واله.(عثمان نوري، ٢٠١٧، ص١٥)

فهذه تعريفات التصوف والصوفية لدى الدارسين والباحثين نلاحظ تضارب في اراء القوم، وتعارضت في اقوالهم، لا جمع بينهما ولا وفاق رغم ما ادعاه بعض المتاخرين، وحاولوا التوفيق ولكن دونه خرط القتاد، لأن كل تعريف مستقل عن التعريف الاخر، وحتى التعريفات العديدة التي صدرت عن شخص واحد تباعد بعضها عن بعض كل البعد وهذا التباعد ظاهر جلي لكل من نظر فيها وقرأها قراء تأمل وتدبر ، وتحقق وتعمق.(احسان ابهى، ١٩٨٦، ص٣٩)

ام تعريف بعض شيوخ النقشبندية للتصوف، فمبني على أحدى الكلمات الاحدى عشر التي عليها أساس الطريق النقشبندي ، فعرفه بأن (التصوف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر، وتعطيله عن الاذكار) . فحفظ القلب من دخول الخواطر ولو ربع ساعة امر عظيم عند الصوفية ، فإن من قدر على ذلك فقد تصوف.(عصام الدين، ٢٠١٨، ص٦٩)

وهناك من يذم التصوف والصوفية ، كما فعل د.محمد جميل غازي، تعليقا على كتاب الشيخ ابن تيمية (الصوفية والفقراء) اذ يقول : " ان الصوفية هي الوباء القتال، والداء العضال الذي منيت به الامة ، فرقت الجماعة، وروجت البدعة، وحاربت التوحيد ، وهاجمت السنة، وأشاعت الفوضى والجهل ، بأسم العبادة والذكر والعهد والطريق، ولم يعد الطريق واحدا بل اصبح طرائق قددا على رأس كل طريق شيخ يدعو إليه، ومريدون يتبعونه، بل يؤلهونه".(ابن تيمية، بلاتاريخ، ص٩)

ثانيا : البدايات

يلاحظ ان أدوار التصوف قد خضعت لعامل التطور الزمني التاريخي ، وقد صحبه تغيير في بنية النظم الصوفية تكشف عن نوع من التطور العضوي الارتقائي ، خلال هذه المراحل الزمنية . فالبدايات كانت عبارة عن تقدم في مجال المجاهدة الروحية نحو أبراز افكار جديدة في مجال التصوف ، تدور حول الكشف والمعرفة، ولكنها تستمر في اتجاه مواز لاتجاه الشريعة بحيث لا تتعارض اتجاهات الصوفية ومعتقداتهم مع العقيدة الاسلامية رغم ظهور النزاع بين الفقهاء والصوفية في بعض الادوار المتاخرة .(محمد علي، ١٩٩٤، ص٦٤)

فهناك من يرى ان التصوف ليس فلسفة، اللهم الا اذا قبلنا ان نسمي تلك التأويلات البعيدة والتعليلات المرجوحة تفلسفا، وليست كذلك. ولكن الذي لا مرية فيه ان التصوف (طريقة) شخصية يتعبد بها الانسان على غير مثال يحتذيه الا قليلا، ولا مذهب يأخذ به الا لماما، اذ ان لكل متصوف أسلوبا خاصا يزعم انه يقترب به من الله. الا ان جميع المتصوفين متفقون على ان ظاهر العبادة –كالصلاة والصوم على الصورة التي اقرتها الأديان والمذاهب – ليست ضرورية، وانما الضروري ان يجتهد المتصوف في الاقتراب من الله(بطريقة) يقتنع هو وحده بصحتها.(عمر فروخ، ١٩٤٧، ص١٧)

بدأت الصوفية كسلوكيات عامة يغلب عليها طابع الزهد في الدنيا والطمع بالآخرة وتندرج هذه السلوكيات ضمن تيارين رئيسيين:

– تيار يمثله أئمة أهل السنة والجماعة تميل إلى تفضيل نصوص الترهيب والترغيب وتحض على الزهد في الدنيا "يمثله الحسن البصري والحارث المحاسبي".

– تيار ذو أصول فارسية يعتبر احياء لموروث سلوكي فارسي قديم ويعتمد على هجرة بعض الناس للدنيا في سبيل تحقيق زعامة دنيوية والحصول على أتباع ومؤيدين (أهمهم حبيب العجمي الفارسي).

ثم شهدت الصوفية بعد ذلك قفزة جديدة بالتحول الجذري عند الامام الغزالي الذي انقلب من مدرسة المتعلمين إلى المدرسة الصوفية وكان كتابه (احياء علوم الدين) محاولة لتأسيس العلوم الشرعية بصياغة صوفية. ثم بعد حكم الأيوبيين عادت الصوفية لأفكار الفلسفة الميتافيزيقا إلى تأسيس أكثر وترسخت ضمن الصوفية على يد محى الدين بن عربى الذي قام في كتبه وأهمها (نصوص الحكم والغزوات الملكية) بتذليل الكثير من المعارف والتي كانت عصية الفهم على اثبات مطابقتها للشرع .(ابو الفضل الاسناوي،بلاتاريخ،ص٩)

ويرى اخرون ان ، صاحب عزلة بغدادي، أول من لقب بالصوفي ، وكان هذا اللفظ بومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة، وعلى رهط من الثائرين بالإسكندرية ، وقد عده البعض من الزنادقة بسبب امتناعه عن اكل اللحم ، أي انه اول من لقب بالصوفي في بغداد كما يؤخذ مما نقله عن الهمذاني، ونصه: ولم يكن السالكون لطريق الله في الاعصار السالفة والقرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة ، وانما الصوفى لفظ اشتهر في القرن الثالث، وأول من سمى ببغداد بهذا الاسم عبدك الصوفي، وهو من كبار المشايخ وقدمائهم ، وكان قبل بشر بن الحارث الحافي و السرى بن المفلس السقطي. والجدير بالذكر ان هؤلاء الثلاثة الذين يقال عنهم بانهم اول من سموا بهذا الاسم ، وتلقبوا بهذا اللقب مطعون في مذاهبهم وعقائدهم ، ورمى كل واحد منهم بالفسق والفجور وحتى الزندقة، وخاصة جابر بن حيان وعبدك، وقد سبق كلام الشيخ ابن تيمية حيث قال : ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة، وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك. وبمثل ذلك قال ابن خلدون. وخلاصة الكلام ان الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد رسول الله واصحابه والسلف الصالحين. (احسان ابهى، ١٩٨٦، ص٤٣) وهذا الرأي لا توافقه عليه سهير محمد يوسف ، حيث ترى ان التّصوّف بدأ منذ عهد الرسول، عليه السلام، حيث أنهم يعتبرون أن أبا بكر الصّديق هو المؤسس لهم والدليل على ذلك، كما يذكرون، أنه عندما كان في الغار مع الرسول، صلى الله عليه وسلم ، وهما يعانيان ضائقة كان، عليه السلام، يُطمئن أبا بكر قائل: لا تخف إن الله معنا، على حين أن أبا بكر كان يحاول استحضار صورة الله في ذهنه، ليزداد استقرارا وطمأنينة وتقرّبا إلى الباري تعالى حيث أنه الملجأ والمفر في ذلك الموقف الصعب، لذا فإن أتباع الطّريقة يعتقدون أن الرسول، قد لقن أبا بكر الذّكر الخفي في الغار، ومن هنا يأتي سر تميزهم من حيث اهتمامهم بالذكر. أما سلمان الفارسي، فقد رأى أبا بكر يقول في نفسه، الله الله الله ، وعندما سأله عن ذلك أجابه بأنه يحاول استرجاع الموقف الذي مر به والرسول الكريم في الغار، وسلمان نقل هذه الطّريقة إلى بلد فارس وانتشرت هناك، ولقت رواجا أكثر مما لقته في المناطق العربية، خاصة أن أصحاب هذه البلد لا يتقنون اللغة العربية بالصورة الجيدة كما يتقنها العرب، وبالتالي فإن حاجتهم ماسة إلى طريقة أخرى تجعلهم أكثر خشوعا وتقربا إلى الله تعالى كبديل عن خشوع العرب عند تلوتهم للقرآن وآياته، الذي هو بألفاظ عربية فصيحة واضحة للعرب ومعجمة على الفرس، وعندما يتلونها لا يصلون إلى مرحلة الخشوع بصورتها المطلوبة، كان ذلك دافعا لهم لتعلم التّصوّف ونشره فيما بينهم، لذا يمكن القول ان الصوفية وعديد طرقها ومنها النّقشبنديّة استقت مبادئها من أربعة شخوص هم بمثابة مؤسسين لها، وهم: سلمان

الفارسي و أبو يزيد البسطامي، وعبد الخالق الغجدواني ومحمد بهاء الدين الاويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند.(سهير محمد، ٢٠٠٦، ص١٠٨)

ومن هنا فان بدايات التصوف ، بحسب الباحث، يمكن ارجاعها الى بدايات ظهور وانتشار الدين الإسلامي نفسه. اذ لم يكن عجيبا ان يتقشف بعض المسلمين في صدر الإسلام وان يزهدوا في الدنيا ، متأثرين ببعض الآيات القرآنية التي تحض المسلم على ترك الحياة الدنيا والتوجه نحو الاخرة ، لكن لما تفرق المسلمون بالفتوح في الأقطار واحتكوا بغيرهم من الأمم ، ودخل في الإسلام من دخل من الروم والفرس والهنود (فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني) واحدث ذلك رد فعل ظاهر ، فانقبض بعضهم من الدنيا مرة واحدة ، فحدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ اقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها واخلاقا تخلقوا بها .(عمر فروخ، ١٩٤٧، ص١٩)

أنتشرت حركة التصوف في العالم الإسلامي في (القرن الثالث الهجري) كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة متنوعة معروفة باسم الطرق الصوفية. والتاريخ الإسلامي زاخر بعلماء مسلمين انتسبوا للتصوف مثل: الجنيد البغدادي، وأحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وأبو الحسن الشاذلي، وأبو مدين الغوث، ومحي الدين بن عربي، وشمس التبريزي، وجلال الدين الرومي، والنووي، والغزالي، والعز بن عبد السلام كما القادة مثل: صلاح الدين الأيوبي، ومحمد الفاتح، والأمير عبد القادر الجزائرى، وعمر المختار، وعز الدين القسام.(عمر احمد، بلاتاريخ، موقع الكتروني)

فيما يورد د. عبد الله بن دجين رأيا مغايرا عن أسباب نشأة الفرق والطرق الصوفية منها: كثرة البدع وانتشارها ، والجدل والمراء والخصومة في الدين ، ومجالسة أهل الاهواء والبدع ومخالطتهم، والجهل ، ويشمل الجهل بمذهب السلف، والجهل باللغة العربية، والجهل بمقاصد الشريعة.(عبد الله بن دجين، ٢٠٠٥، ص١٥)

ثالثا: النهايات :

اختلفت الآراء حول مالت اليه الصوفية والنهاية التي انتهت اليها اليوم ، بحكم التغييرات التي طرأت على الوضع العام والتطورات في العالم المادي والأخلاقي للدول كافة ، عما كان عليه سابقا.

١- **نهضة التصوف:** ويرى الأستاذ محمد أبو رمان ان هذه الصحوة، تقوم على عاملين، يرتبط الأول بموجة الإقبال الواسعة والملحوظة على مقولات وأدبيات رموز الصوفية في التاريخ، مثل محي الدين بن عربي وجلال الدين الرومي، بالإضافة إلى ابن عطاء السكندري وذي النون المصري وأبي اليزيد

البسطامي والحلاج. بينما جاء العامل الثاني مرتبطًا بـ "النشاط الملحوظ ومحاولات التجديد للعديد من الطرق والمؤسسات الصوفية، على أكثر من صعيد، محلي، وإقليمي وعالمي، وانبعاث الاتجاهات الروحانية على صعيد العالم اليوم".

وتتزامن هذه الصحوة الصوفية مع محاولات دولية وإقليمية حثيثة لتسييسها عبر طرحها بديلًا للإسلام السياسي، أو اتخاذها أداةً لمواجهته أيضًا، خصوصًا في ظل بعض السياسات الإقليمية الرامية إلى تبني التصوف في مواجهة السلفية التي حُمِّلت بحسب البعض "الصراع على السلفية العالمية" مسؤولية الحضانة الأيديولوجية لتنظيم داعش والحركات الجهادية.

بخاصة مع انبثاق فكرة الاحلاف الإقليمية المتضاربة في المنطقة العربية، الأول محور الاعتدال العربي الذي يتبنى موقفا رافضا للربيع العربي ومتخوف من الإسلام السياسي وصعوده، والمحور الثاني هو الذي يتبنى الإسلام السياسي ويحتضن المدارس الإسلامية المختلفة ، جماعة الاخوان المسلمين والتيارات السلفية المسيسة.(مجموعة باحثين، ٢٠٢٠،ص١٠)

ويبدو مما سبق ان حال الصوفية اليوم انتهى الى النهوض من جديد بفعل عدة عوامل منها ما يتعلق بحاجة الناس الى العودة الى عالم الروح بعد الغرق في الماديات ، ومنها ما هو سياسي وصراع ايدلوجي يعم العالم والمنطقة العربية بخاصة.

٢- **اندثار التصوف:** هناك من يرى ان التصوف انتهى زمنه وانقضى وطره ، فلم يعد له وجود مؤثر ولا اثر بالغ في الحياة العامة للشعوب الإسلامية .

وينتقد د. عبد الجبار الرفاعي التصوف ويسميه ب تصوف الاستعباد، حيث العزلة والخروج من العالم، الذي يفضي غالبا الى خسران الذات، لأن المتصوف يرضخ لعبودية طوعية لشيوخ الطرق الصوفية، تنتهي هذه العبودية الى تبلد الانسان ، وربما موت الانسان داخل الانسان. ان هذا النمط من التصوف يترعرع في اقبية الطرق الصوفية وزواياها، ويظهر في حياة الدراويش القابعين في الخانقاهات والزوايا والتكايا. في تصوف العزلة كثيرا ما يخسر المتصوف ذاته ، عندما يتحول الى ضرب من الرهبنة المبتذلة.

فيما يرى اخرون ان التصوف مرآة لتشوهات المسلمين في عصور الانحطاط، اذ ترتسم فيه صورة تخلفهم وجهلهم، وامراض التجارب التاريخية لازمنة تراجع المسلمين ، تتفشى فيه عاهات تقاليد الاسترقاق ومسالك الاستعباد، مثل التربية على نفسية العبيد، والتربية على التلقين ، والرضوخ والطاعة العمياء لمشايخ الطرق الصوفية ، والهيام الذي يصل حد العبادة للشيوخ والاقطاب ، وتقليدهم في كل شيء، الى درجة السعي للذوبان بهم ، والعزلة والغياب عن العالم، والهروب من الحياة، والتنكيل

بمتطلبات الجسد، والتضحية بالغرائز والحاجات الطبيعية للبشر.(مجموعة باحثين، ٢٠٢٠، ص٢٤) كل ذلك دفع الصوفية الى نهايتها المحتومة.

ويضع الأستاذ عمر فروخ خمسة أدوار في مجال البحث عن الحقب الزمنية التي مر بها التصوف ، وهي :

الدور الأول: دور التسامي عن الحياة المادية ، وهو يتناول القرنين الاولين للهجرة (القرن السابع والثامن للميلاد) على وجه التقريب، حيث يظهر في هذا الدور كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي(رضي الله عنهم) وآخرون.على ان هؤلاء لم يكونوا صوفيين، بل لم يكونوا زاهدين بالمعنى المتواضع ، ولكنهم لما ملكوا الدنيا من حافتيها العلم والسيادة وعظم شأنهم في بناء الامة الإسلامية هانت عندهم الحياة المادية.

الدور الثاني: دور التشبه بالسابقين والقصد الى الزهد والتقشف. ويمتد هذا الدور نحو قرن ونصف قرن من الدهر، من مطلع القرن الثالث الى أواسط القرن الرابع للهجرة(نحو ٨١٥-٩٥٠م)وياتي على رأس هذا الدور أبو سليمان عطية بن عبد الرحمن الداراني ومن بعده بشر الحافي واخرون.

الدور الثالث: دور الخروج من الإغراق في الزهد الى (الكلام) والى التحرر من التكليف في العبادة وادعاء الخيالات الصوفية. ويملأ هذه الدور القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي). وينتمي لهذه الدور الحلاج ، والواسطي واخرون.

الدور الرابع: دور تنظيم التصوف وادعاء الكرامات وتبلور الطرق الصوفية. يبدأ هذا الدور من أواسط القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي).ومن رجالاته البارزين الغزالي.

الدور الخامس: دور المجذوبين، هذه المبالغات في ادعاء الكرامات وروايتها لا تدل على حالة طبيعية في الراوين على الأخص، ولا في المتظاهرين بها، انها بلا ريب حالة مرضية ذات عوامل معينة، وليست حالة نفسية فحسب. ومع ان هذه الأحوال كانت ظاهرة منذ نشأة التصوف –بل منذ نشأة البشر– فانها كثرت في القرنين التاسع والعاشر للهجرة(الخامس عشر والسادس عشر للميلاد) بين المتصوفين.(عمر فروخ، ١٩٤٧، ص٨٦) هذه الادوار تؤشر الى ظهور وتصاعد الصوفية ثم افولها ، حالها في ذلك حال اغلب التيارات الفكرية التي زخر بها التاريخ الاسلامي.

فيما يرى الاستاذ محمد الطاف عكس ذلك ويضع اهمية كبيرة للمتصوفة في حفظ الامن والسلم المجتمعيين ، فالتصوف الحقيقي يُصلح بين الناس بدون تمييز المذهب والعرق ولا يفسد، ويوحد ولا يفرق، ويوجه الناس الى الاخلاص لله تعالى في كل أعمالها، ويعمل على تحقيق العدل ويجسد الحب في الله بين الناس ويرسخ التقوى في النفوس للتحلي بالعفاف والحياء والسعي الى الخيرات. فالتصوف

له دور محور في تقريب الانسان فهو الذي يغرس في المجتمع الانساني مكارم التوادّ والتراحم والمحبة والتآلف وحسن التعايش، وهذه القيم تأتي بالسكينة والاستقرار والسلم والسلام ، وهذه أهم مقومات الأمن الاجتماعي والحضاري.(محمد الطاف، ٢٠١٧، ص٢٦٩) لذلك سيستمر التصوف لحاجة المجتمعات اليه.

وللسيد عمر عبد العزيز قريشي نظرة سلبية ، فهو يرى ان الصوفية التي كثرت وتشعبت في البلاد ، وجدت من الكسالى والمرتزقة واتباع كثيرين ، كانوا عبئا على الاسلام وأهله، ولقيت من أعداء الاسلام تشجيعا معنويا وماديا ، كما طعمتها بالمدسوسين على الاسلام ، ثم طوعتها لما تريد، وعملت على الفرقة فيما بينها ، فصارت فرقا شتى، وطرقا عديدة، بعد مدة زمنية قصيرة صارت تفوق العد والحصر، فكل شيخ له طريقة ، وكل مريد له فرع جديد.(عمر عبد العزيز، بلاتاريخ، ص٣٣) هذا كله تسبب في تشتت المسلمين ، بحسب عمر عبد العزيز ، وذهاب ريحهم.

المبحث الثاني: النقشبندية في العراق

يكتسب الحديث عن الصوفية فى العراق أهمية خاصة، لاسيما وأنه قد اتفقت آراء الباحثين على أن التصوف صناعة هندية وصينية وفارسية (زرادشتية) قبل الإسلام بقرون، وأن عبوره إلى العرب كان عبر العراق، بالإضافة إلى تلك الآراء التى تبين أن التصوف بعد الإسلام كان منشأه أساسا من العراق خاصة فى البصرة والكوفة. فى الوقت الذى تقدر فيه بعض الأوساط عدد الصوفية بأكثر من ثلاثة ملايين .

لذا فالحديث عن التصوف العراقى ومنشأه وأهم طرقه وشخصياته يعطينا تصور واضح عن حقيقة الصوفية بصفة عامة بصورة تخترق حدود الزمان والمكان، وتجعلنا نقف على حقيقة ادعاءاتهم وتوجهاتهم ، وكذلك تعيننا على تكوين صورة متكاملة عن أوضاع الصوفية وماهيتها .

ويضم العراق بين دفتيه طيفا واسعا من المذاهب والملل والنحل ، بالإضافة الى التنوع البشري والاثني والقومي والمذهبي، وحتى الجغرافي .

ومن تلك الطوائف الإسلامية ، طائفة الصوفية النقشبندية ، والتي سنتناولها بالبحث والتفصيل.

اولاً: التعريف بالنقشبندية

تنتسب هذه الطريقة إلى محمد بهاء الدين شاه نقشبند. واشتق اسمها منه، ومن ثم عرفت به. ولد في قرية بخارى سنة (٧١٧-٧٩١).

وكانت قبله تنسب إلى عبد الخالق الغجدواني، وسميت كذلك بالمجددية أو الفاروقية نسبة إلى الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، وبالخالدية نسبة إلى خالد النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين. وهو الذي نشر الطريقة في بلاد الشام بعد أن تلقاها من الشيخ عبد الله الدهلوي. وقد كان انتشارها مقصورا على بلاد بخارى وما حولها.(عبد الرحمن محمد، بلاتاريخ،ص١١)

تعني كلمة نقشبند النقش وهي فارسية الاصل، والنقش هو الحفر والبند هو الحجر، مما يعني أن النقشبند هو الحفر على الحجر، ذلك الحفر الذي لا يتأثر بالعوامل الطبيعية، ولا يندثر، ومن هنا فإن التشبيه أصبح واضحا، فالمعنى الباطني للكلمة أن كلمة الله محفورة في قلوب المريدين، وهو حفر دائم غير قابل للزوال.(سهير محمد، ٢٠٠٦، ص١٠٦)

وفي رأي أخر أن الطريقة النقشبندية ذاع صيتها منذ القرن الخامس حتي القرن التاسع للهجرة. وارتبط تاريخها بتاريخ الأسر التي حكمت التركستان آنذاك ودام رواجها بين القبائل التركمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد فيما وراء بحر الخزر وشمال وغرب بحر القوقاز. كما انتشرت في داغستان والشيشان وأذربيجان. انضم إليها علية القوم من التجار والقادة العسكرين والمفكرين والشعراء الذين كانت لهم شهرة من أمثال الشاعر على شير نوائي، وعبد الرحمن الجامي وغيرهم. كما جذبت النقشبندية عامة الشعب وأهالي القرى بأعداد لاتحصى لأنها لم تكن لتعرف التعصب، بل اتسمت بالتسامح. ولم تكن لتحرص على الزهد المطلق بل إن من ينتسب إليها بوسعه أن يتعايش مع المجتمع ويمارس حياته الاجتماعية بلاقيود وعرفت هذه الطريقة بالجهاد ومحاربة البوذية ثم تحول جهادها إلى محاربة الروس في منطقة وسط آسيا. ومن ثم كان انتشارها عنصرا أساسيا في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. لها دورها الفعال المؤثر في مناطق نفوذها في داغستان وشرق أذربيجان. قد ساعد على القيم والتقاليد والمثل القويمة كما صانت التعاليم الإسلامية من الزيف والتشوية. وهذا بدوره أفضى إلى انتشارها في المناطق الشرقية والجنوبية من التركمان في وسط آسيا وكذا وادي فرغانة ومناطق القيرغيز ومنطقة خوارزم والقارقالباق.

ويعتبر (خالد البغدادي) من أهم الشخصيّات البارزة في تاريخ الطريقة النقشبنديّة، وأوسعهم شهرة بين الخاصّة والعامّة، وانجحهم في استمالة قلوب الناس والاستيلاء على ضمائرهم وإلقاء هيبته عليهم . اسمه الكامل هو أبو البهاء، ضياء الدين خالد بن أحمد بن الحسين الشهرزوري البغداديّ المعروف بين أتباعه بعنوان (مولانا خالد ذو الجناحين) . ولد البغداديّ عام ١١٩٢ هـ الموافق لسنة ١٧٧٨ م بمحل اسمه (قره داغ) على مقربة من مدينة السليمانية العراقيّة. ومات بالطاعون في مدينة دمشق عام ١٢٤٢ هـ الموافق لسنة ١٨٢٦ م . اشتغل خالد بالتدريس مدةً في السليمانية وبغداد . كان خالدٌ ذا

طموح وعزيمة لا حدود لهما. أثارتْهُ آمالُهُ إلى المغامرة بما لم يتجرّأ على اقتحامه أحد من رجال الدين في عصره ولا بعده !» وكان متشوّقًا بعد رجوعه من الشام إلى مرشدٍ من فحول الرجال حتّى جاء إلى السليمانية رجلٌ هنديّ يسمى مِرْزَا رحيم الله بِكْ المعروف بمحمد درويش العظيم آبادي. أحد خلفاء الشيخ الدهلويّ، فاجتمع به وعرض عليه مطلبه. فقال له: إنّ لي شيخًا كاملاً مرشدًا ... نقشبنديّ الطريقة ... فَسِرْ معي حتّى نرحل إلى خدمته في جِهَانْ آبَادْ، وقد سمعتُ منه إشارةً بوصول مثلك ثم إلى المراد .(رأفت صلاح، بلاتاريخ، موقع الكتروني)

وللطرق الصوفية في زمن الدولة العثمانية دورا بارزا في إدارة شئون الدّولة، وهو ما ترجم انصهارهم العميق في المجتمع بجميع مستوياته، الدّيني، السّياسي والشّعبوي، إذ لم يكن التصوّف دخيلا عن الحياة العامّة، بل كان النّواة الأساسية الّتي نسج حولها المجتمع انتماءه وقيمه وهويته، وهو ما فسّر التفاف السّلاطين بالطّرق الصّوفية والتّكايا، وقربهم من شيوخها، فضلا عن اشتراكهم مع الجيش العثماني في فتوحاته، ومساهمتهم في تحقيق العديد من الانتصارات.(ليلى قراوزان ومحمد رمزي، ٢٠١٣، ص٤٨٩)

كان للنقشبندية دورها السياسي الذي تجلى في مساندتها للدولة العثمانية ضد الثورات التي كانت تندلع على أرضيها بين الفينة والفينة ، فثمة تلميحات في مصادر شتى تشير مناطق نفوذها الأخرى لرفعة شأن العقيدة الإسلامية. وهذا ما ألفيناه بالفعل في نشاط النقشبندية في الدفاع عن المذهب السني والحد من المد الفارسي إبان حكم الدولة العثمانية التي طالما ادعت صانت المذهب السني وبذلت مافي الوسع من جهد لتحجيم نشاط اعدائها. وكان ، كذلك، للنقشبندية دور في إخماد الحركة الوهابية التي تمثل الفكر السلفي وقد استغلت الدولة العثمانية التنافر الديني بين الفريقين أيما استغلال وحرضت خالد البغدادي ضد الوهابيين. ومما يدل على شيوع الطريقة في أراضي الدولة العثمانية على أواخر عهدها وجود خمسة وستين تكية نقشبندية في اسطنبول وحدها ، ويسجل المؤلفون من الترك أن الطريقة النقشبندية خدمت الثقافة التركية وسجلت في تراثها الأدبي المعارف والموروثات الشعبية التركية.

وتعد جماعة اسكندر باشا أشهر فرق النقشبندية، وقد أسهمت في تأسيس حزب النظام الوطني سنة ١٩٧٠م، وحزب الإنقاذ الوطني سنة ١٩٧٢، اللذين أشرف على تأسيسهما رئيس الوزراء التركي السابق نجم الدين أربكان، كما أن رئيس حزب الفضيلة الذي تأسس بعد حظر حزب الرفاه سنة ١٩٩٧ رجائي قوطان يتمتع بعلاقات متينة مع أهل الطريقة النقشبندية حيث ترأس جمعيات أوقاف أكيول التابعة للجماعة.وفي أوائل الثمانينات من القرن الماضي، لعبت النقشبندية دوراً كبيراً في توجيه

الرأي العام، وقد أدركت الدولة هذه الحقيقة، فاستعانت بأتباع النقشبندية لإقناع الناس بالتصويت على الدستور عام ١٩٨٢.

النقشبنديّون اليوم في تركيا، موزَّعون في صفوف سبع جماعاتٍ رئيسةٍ و هذه الجماعات يختلف بعضُها عن بعض من حيث التكوين الإجتماعيّ والمستوى الثقافيّ والنشاط السياسيّ اختلافًا بارزًا.

فهناك من يرى ان النقشبندية تمثل الاسلام الحقيقي والامة الاسلامية، فهي بحسب الشيخ محمد امين الكردي : هي متابعة الشريعة المحمدية ومباعدة المكروهات والمحرمات المنهية واشغال القلب بالذكر والفكر ومراقبة الذات العليا.(محمد امين، ١٣١٦هـ، ص٩)

ثانياً: قبل عام ٢٠٠٣

وهنا يرى الشيخ ثاني عبد الكريم الفكيكي ان القرن السادس الهجري مثّل البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، ودوافع انتشارها بحسب الشيخ كثرة البدع والجدال والمراء والخصومة في الدين، ومجالسة أهل الأهواء والبدع ومخالطتهم، والجهل بمذهب السلف ومقاصد الشريعة.

ومن أشهر الطرق الصوفية في العراق:

١- **الطريقة القادرية:** وتسمى الجيلانية وهي من أكثر الطرق انتشاراً في العراق. مؤسسها عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة٥٦١هـ. يقول أتباعه أنه أخذ التصوف عن الحسن البصري وعن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام). يؤمن أتباع هذه الطريقة بعقيدة وحدة الوجود، ولهم مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال منها:"لا إله إلا الله" التي تمثل الذكر الأساسي في القادرية.

٢- **الطريقة الكسنزانية:** وهي إحدى فروع الطريقة القادرية، وتسير على نهجها. أما تسميتها فيرجع إلى اللغة الكردية والتي تعني باللغة العربية (لا أحد يدري) أو (لا أحد يعلم) وشيخ الطريقة الحالي هو الشيخ نهرو محمد بن عبد الكريم بن عبد القادر بن عبد الكريم شاه الكسنزان، الذي خلف والده الشيخ محمد.

٣- **الطريقة الرفاعية:** تنسب إلى أبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ، وتسمى بالبطائحية نسبة إلى ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق، وجماعته يستخدمون السيوف ودخول النيران في إثبات الكرامات.

٤- **الطريقة النقشبندية:** تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن البخاري المتوفى سنة ٧٩١هـ، والملقب بشاه نقشبند الذي نشأ وعاش في الهند، ومن هناك دخلت إلى البلاد الإسلامية، ومن ثم انتشرت في العراق وعموم الشرق الأوسط وذلك على يد أبرز شيوخها وهو أبو البهاء ضياء الدين خالد بن أحمد

الشهرزوري البغدادي. يؤمن أصحابها بأن معرفة الله تعالى معرفة يقينية عن طريق الذوق أو الكشف، فضلاً عن إشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمراً "هو"، ومن معتقداتهم سماع الأناشيد والأشعار.(ثاني عبد الكريم، ٢٠٠٩، موقع الكتروني)

وفي كردستان العراق يعتبر ضياء الدين خالد حسين المولود على الأرجح سنة ١٧٧٩م، والمعروف عند أصحابه باسم "مولانا خالد النقشبندي" هو مؤسس الطريقة النقشبندية، المتعارف عليها اليوم، الذي سافر إلى الهند سنة ١٨٠٨م. وهناك تعلم أصول الطريقة، وعاد لينشرها في بلاده وتحديداً في مدينة السليمانية. وكان لخالد هذا أتباع كثيرون في كردستان وخارجها حتى وفاته سنة ١٨٢٧م.واستطاعت هذه الطريقة أن تفرض نفسها في كردستان بعد صراع مع أتباع الطريقة القادرية . التي تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني .

لقد كان للطرق الصوفية المتنوعة ومنها النقشبندية دورا فعالا وتأثيرا كبيرا على شعوب آسيا الوسطى، واليسويّة الّتي امتدّت فروعها إلى كل مناطق آسيا الوسطى والقوقاز، وكذلك الطّريقة القادريّة، والطّريقة الكبرويّة، وقد كان نشاط هذه الطّرق منحصرا في تربيّة المسلم تربيّة روحيّة وفكريّة، والعمل على تكوين مجتمع إسلامي منظّما تنظيما مثاليّا، فكان يرى البعض ان لهم أيادي الفضل في نشر الإسلام في مختلف الأمصار.(ليلى قراوزان ومحمد زمري، ٢٠١٣،ص٤٩٠)

ومن أبرز الأمثلة على البذرة الثورية التي حملتها النقشبندية وتأثيرها وتأثرها بالوضع السياسي ، ما قام به اتباعها مثلا: سيد طه في مشاركته الدفاع عن إمارة بوطان سنة ١٨٤٧. وحفيده الشيخ عبيد الله النهري (قائد ثورة ١٨٨٠). والشيخ سعيد بيران (١٩٢٥). وسلسلة ثورات بارزان. لكنها في الوقت نفسه قدمت أمثلة معاكسة أيضاً كانوا نتاج اختراق السلطة الحاكمة للطريقة. رغم العديد من الجوانب الإيجابية للنقشبندية من ناحية التهذيب الأخلاقي، إلا أنها لعبت أيضاً دوراً معطلاً للتقدم العلمي. فالنقشبندية الخالدية تتحمل قسطاً كبيراً من مسؤولية زيادة ضحايا وباء الطاعون، وتحديداً طاعون بغداد سنة ١٨٣١ الذي تسبب في هلاك ثلثي السكان من بغداد إلى البصرة، وقبلها سلسلة الأوبئة في دمشق وحلب بين ١٨٢٣ – ١٨٢٧ حيث كرس الشيخ خالد النقشبندي الفتاوى السابقة لشيوخ القادرية بتحريم الهروب من الوباء وكذلك حرّم الحجر الصحي الذي كانت تعرضه القناصل الأجنبية، واعتبر ذلك هروباً من "لقاء وجهه تعالى". وفيها قولته المشهورة أيام الطاعون في دمشق: "ما جئنا الشام إلا لنموت في هذه الأرض المقدّسة"، فمات بالطاعون هو وابنه وكثير من أفراد عائلته وآلاف مؤلّفة من الناس. في المجمل فإن النقشبندية ساهمت في عرقلة الإصلاحات العثمانية الكارثية على كردستان

والتي ابتدأت من الواقعة الخيرية وسحق الجيش الانكشاري عام ١٨٢٦ وفرض المركزية.(حسين جمو، بلاتاريخ، موقع الكتروني)

ويرى السيد عثمان نوري طوباش ان هنالك سلسلة ذهبية للطريقة النقشبندية، حيث عد رسول الله محمد (صلى الله عليه واله) منبع الفيوضات التي يتلقاها المرشدون الكاملون اولياء الله ، والذي كان بسرته العطرة المباركة قرآنا حيا، وكان الرسول مع اصحابه الكرام الذيت تربوا على هديه ، يحيون في ظل القرآن الكريم وذلك بتعليمه اياهم الزهد والتقوى ، فكانت قلوب الصحابة ترق وتطمئن ، فكأنما هم من أهل الاخرة يرون النار والجنة بعين اليقين ، ويحيون في حال روحانية ما الفوها من قبل. (عثمان نوري، ٢٠١٧، ص٥٣) ويدرج بعد الرسول الكريم لائحة من الشخصيات الاسلامية كابو بكر الصديق وسلمان الفارسي والقاسم بن محمد و جعفر الصادق وغيرهم الكثير.

ويضع د. عصام الدين السيد، ثلاث سلاسل للنقشبندية :

السلسلة الاولى (السلسلة الذهبية): السلسلة المتصلة من مدينة العلم صلى الله عليه واله وسلم ، الى الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام ، الى الامام الحسين عليه السلام ، الى الامام زين العابدين، الى الامام محمد الباقر، الى الامام جعفر الصادق ، الى الامام موسى الكاظم، الى الامام علي الرضا(عليهم السلام جميعا) وغيرهم . وهذه السلسلة سميت بالذهبية لاتصالها بال البيت الاطهار.

السلسلة الثانية: وهل السلسلة المتصلة منه صلى الله عليه واله وسلم ، الى علي ابن ابي طالب ، الى الحسن البصري ، الى حبيب العجمي ، الى داوود الطائي ، الى معروف الكرخي ، شيخ السلسلة الاولى.

السلسلة الثالثة: السلسلة الصديقية نسبة الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه، مع صحة السلاسل الاخرى للسادة النقشبندية المنتسبة للامام علي عليه السلام. (عصام الدين، ٢٠١٨، ص١٨)

ثالثا : بعد عام ٢٠٠٣

مثلت حادثة احتلال العراق عام ٢٠٠٣ ، صدمة وتحديا كبيرا واجهته كل اطياف المجتمع بكل فئاته، ومنها الجماعات الاسلامية ، كالمتصوفة ومنهم النقشبندية، التي اخذت تنتهج نهجا مناهضا للوجود الاجنبي ، مختلفا عما اعتادت عليه.

ويرى الاستاذ رأفت صلاح الدين ان بوادر ظاهرة انحسار التصوف في العراق ، بدأت بشكل ملحوظ بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وبعد معركة الفلوجة بصورة خاصة؛ حيث عاب العراقيون السنة على المتصوفة جلوسهم طيلة الليل والنهار في المساجد والتكايا في حلقات الذكر وانشغالهم بضرب الدفوف وأعمال الدروشة الأخرى وإلقاء مهمة المقاومة وقتال الاحتلال على غيرهم، وهم من كانوا يذكرون في

أشعارهم ومدائحهم بيت المقدس وشوقهم إلى تحريره من اليهود.(رأفت صلاح، بلاتاريخ، موقع الكتروني) وربما هذا الامر الذي حفزهم على دخول معترك السياسة والحرب مع المحتل.

ويرى البعض ان تنظيم الطريقة النقشبندية يعود إلى الحركة الصوفية في العراق، ويعد بمثابة الجناح العسكري لحزب البعث العراقي. أسس التنظيم عزة الدوري نائب الرئيس العراقي السابق صدام حسين، بهدف مقاومة الجيش الأمريكي بعد غزو بغداد عام ٢٠٠٣.هذا التنظيم ليس لديه قائد محدد، إنما هو عبارة عن مجموعات تؤمن بالطريقة الصوفية. على الرغم من الإعلان عن وفاة عزة الدوري، فإن الحزب عبر جناحه العسكري المسمى "الطريقة النقشبندية"،يروج البعض انه يحاول الانقلاب على النظام القائم في العراق منذ عام ٢٠٠٣.

من الأحداث البارزة المعاصرة في كردستان فيما يتعلق بالنقشبندية إعادة رفات زعماء الطائفة التي كان بعض أتباع جماعة أنصار الإسلام قد نبشوها خشية تحولها إلى مزارات يؤمها الناس. وقد تم إعادة الرفاة باحتفال كبير حضره أنصار الطوائف الصوفية، ومسؤولين اكراد حيث اعلنوا عن تخصيص مبلغ ٧٠٠ ألف دولار أمريكي من ميزانية حكومة كردستان لإعادة إعمار المزارات النقشبندية، وفتح طريق جديد في المنطقة.

ومن العائلات البارزة التي يتولى أفرادها مشيخة الطريقة: شمدين، وتافيلي، البرزاني.(الطريقة النقشبندية، بلاتاريخ، موقع الكتروني) وهذا يؤكد على عمق العلاقة بين علية القوم في كردستان والنقشبندية .

وكما ذكرنا سابقا ، فان الاحتلال الأمريكي للعراق ، جاء بتحولات وتغييرات كبيرة داخليا وخارجيا ، اصابت المنطقة بصورة خاصة والعالم بصورة عامة. وهنا ظهرت تنظيمات مسلحة ، تبنت مجاهدة المحتل واخراجه من العراق، ومن تلك التنظيمات رجال الطريقة النقشبندية ، التي تعتبر ان اعظم ميزة فيها هي ميزة المقاومة والدفاع عن الوطن والدين، لأنه اعظم واقدم كل الفرائض بل هو فرض الوقت المتقدم .(مجلة النقشبندية، ٢٠١٥، ص٤)

اما الفصيل الصوفي الاكثر ظهورا سياسيا في عراق ما بعد ٢٠٠٣ فكان فصيل (جيش الطريقة النقشبندية) المشارك بوضوح في التمرد المسلح، وهو فصيل يدعي الانتماء الى الطريقة النقشبندية الصوفية، الا انه انضوى تحت ما عرف بالقيادة العليا للتحرير والجهاد، التي يقودها عزت الدوري الذي اعتبره جيش النقشبندية شيخهم وطاعته واجبة على الجميع، ما خلق خلطة غريبة من الفكر القومي والبعثي والسني والصوفي والجهادي، ويعتبره المراقبون الذراع العسكرية لحزب البعث المنحل جناح الدوري.

وبرز هذا الفصيل في الساحة العراقية بعد اعدام صدام حسين في كانون الاول ٢٠٠٦ ومر بفترات شد وجذب، حيث قاتل ضد تنظيم «القاعدة» ثم ما لبث ان تحالف معه. كذلك كان موقف جيش الطريقة النقشبندية من «داعش»، حيث مرت علاقتهما بفترات صراع وهدنة كان اخرها ما اعلنه الدوري في شريط صوتي مسجل له بعد ايام من سيطرة «داعش» على الموصل في حزيران ٢٠١٤، حيث ذكر «إن أبطال وفرسان القاعدة والدولة الإسلامية لهم مني تحية خاصة ملؤها الاعتزاز والتقدير» وكان يأمل في مشاركة «داعش» في الانجازات التي حققها على الارض، لكن سرعان ما نشب الخلاف بين الاثنين وتحول الى حرب دامية بينهما.(صادق الطائي، ٢٠١٧، موقع الكتروني)

ومن الأمور التي يؤمن بها هذا جيش الطريقة النقشبندية ، ان العراق دولة عربية مسلمة، وهو جزء لا يتجزء من الامة العربية والإسلامية، وان الممثل الشرعي الوحيد لشعب العراق ومقاومته هي القيادة العليا للجهاد والتحرير، والتي تضم (٦٢) فصيلا مقاوما ، وفي مقدمتهم جيش رجال الطريقة النقشبندية ، وتقود سلطة العراق الشرعية قبل الاحتلال ، ولها ثقلها الميداني واعلن عن تأسيسها في أيلول ٢٠٠٧.(مجلة النقشبندية، ٢٠١٥، ص٢٢)

المبحث الثالث : الفكر السياسي للنقشبندية

أكد بعض الدّارسين على أنّ الدّول الإسلامية وظّفت الطّرق الصّوفية توظيفا سيّاسيّا، وخاصّة في البلدان الّتي شكّلت فيها الطّرق الصّوفية قوّة مؤثّرة، ممّا حرّك نحوها أطماع الأنظمة، لاستثمارها في معاركها السّياسية، ممّا جعلها غير بعيدة عن الممارسة السّياسية، ففي السّودان ، مثلاً، وجدت الحياة العصريّة تداخلاتها مع رجالات الفرق الصّوفية، إذ عمل بعضهم في مؤسّسات الدّولة مستشارين ووزراء وسفراء، وبرع البعض الآخر في الحياة الأكاديميّة، فالطرق الصوفية لها سلطانها على الشارع العربي جماهيريا وسياسيا.(ليلى قراوزان ومحمد رمزي، ٢٠١٣، ص٤٨٨)

ان التأثير السياسي للنقشبندية تنوع في مختلف الدول التي انتشرت ونشطت فيها ، فمثلا كانت هذه الطريقة من العوامل المهمة في ثورة المسلمين الكبرى في مناطق التركستان الصينية ، كما انها الهبت حماس جماهير المسلمين في جزائر الهند الشرقية ليتصدوا للنفوذ الاستعماري.(محمد احمد، ١٩٨٧، ص٥٥) وظل التصوف يخطو خطوات واسعة في القرون اللاحقة ، ليدشن لعشرات الطرق في مشرق الامة ومغربها، ويُخرج المئات من ائمة التصوف والالاف من مريديهم ، وشهدت القرون الحادي والثاني والثالث عشر الميلاديين امتزاج التصوف بالفلسفة وعلم الكلام ، وبالتالي تصاعد اثر التصوف في البلدان الاسلامية، الأمر الذي اكسبها ثقلا اجتماعيا وسياسيا ليؤشر بروز المتصوفة، كقوة لها وزنها لدى المسلمين، تمكنت من تأسيس طرق لها انظمتها ومميزاتها ومكوناتها الخاصة بها،

كالقادرية والرفاعية ، والنقشبندية والبدوية ، وعشرات سواها.(فاهم نعمة و حسنين عبد الكاظم، ٢٠١٢، ص١٦١)

لقد استغلت البلدان الطرق النقشبندية التي تواجدت فيها لغايات سياسية مهمة ، فمثلا تم وضع النقشبندية في خدمة الدولة التركية، عبر شيوخ كرد سخّروا أنفسهم للقومية التركية، وكذلك عبر ترقية النقشبنديين الأتراك والأرناؤوط، وسحب مراكز النقشبندية من الأرياف الكردية إلى المدن التركية الكبرى، مع الحرص على تحويلها إلى سوق للانتخابات والتأسيس للاغتراب القومي تحت شعار "كلنا مسلمون".(النقشبندية الكوردية، بلاتاريخ، ص٢٢)

اولاً : جذور الطريقة:

تذهب أدبيات الصوفية حين تذكر ان انغماس الناس في الملذات، وابتعادهم عن اخلاق الاسلام في العصر العباسي الاول، على اثر الرخاء الذي شهده المجتمع الاسلامي آنذاك، وتأثره بالثقافات والحضارات الفارسية والرومانية بعد اختلاطه بشعوبها، دعا بعض أئمة المسلمين إلى تأسيس أماكن للعبادة والذكر لمن شاء ان يحافظ على ارتباطه بتعاليم الإسلام، فتأسست مدارس صوفية في بقاع اسلامية متعددة اهمها مدرسة الكوفة، ومدرسة البصرة ثم المدرسة البغدادية، وقد غلب على هذه المدارس صفة الحب الالهي كمنهج وسلوك أساسي للمتصوفة.(فاهم نعمة وحسنين عبد الكاظم، بلاتاريخ، ص١٦٠) ومن هنا كانت الجذور الاولى للتصوف الاسلامي.

ويرى الشيخ فريد الدين ايدن، ان السبب وراء ظهور التصوف بصورة عامة وطرقها ومنها النقشبنديّة، هي الفتن الّتي حدثت في عصر الصحابة وأثّرتْ على النفوس حتّى نشأت من جرّائها بعد القرون فِرَقٌ وأحزابٌ باطنيّةٌ ومذاهبُ غاليةٌ عديدةٌ كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون. الفتنة الأولى والكبرى في تاريخ المسلمين لاشكّ هي مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفّان رضي الله عنه. ثم تليها الحروب الّتي جرت بين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وبين ومعاوية بن أبي سفيان؛ ثم اغتيال عليّ بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

وعندما يصف د. فاهم نعمة الياسري حال التصوف في المغرب ، يعرج على توئمه في المشرق ، حيث يرى ان أن الظروف السياسية خدمت من في المغرب اكثر من في المشرق،لتضع النفوذ الديني فالسياسي بين ايادي المتصوفة هناك، من خلال تسنمهم السلطة ، أو استحواذهم عليهم ، أو من خلال نفوذهم على الجماهير العنصر الاكثر ضغطاً واهمية في اي مجتمع.(فاهم نعمة وحسين عبد الكاظم،٢٠١٢،ص١٥٥) فالمتصوفة في المغرب العربي كان لهم أثر أكبر من نظرائهم في المشرق .

و يرى الأستاذ عمر فروخ ان بعض الصوفية تظاهروا بـ " الجذب" ، أي المرض النفسي او الجنون،في سبيل أغراض سياسية، وان الدارس البارع يحسن التمييز بين المعتوهين من هولاء وبين الذين اجادوا تمثيل ادوارهم على مسرح الاضطراب السياسي في الشرق.(عمر فروخ، ١٩٤٧، ص٩٣) وهذا من اغرب التوجهات السياسية التي تكون بوادرها افتعال الجنون والتمرد على المجتمع .

وللاستاذة ليلى قراوزان رأي اخر مفاده ان المجتمعات السّياسية العربية والغربية رأت في التّصوف، البديل الرّوحي للردّ على التّنظيمات الدّينية المتطرّفة خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لذا رُئي أن توظيف الدّبلوماسية الصّوفية في العديد من القضايا السّياسية، نوع من الحداثة الدّينية.
(ليلى قراوزان و محمد زمري، ٢٠١٣، ص٤٩١)

أما في ما يتعلق بموقف الصوفية من السياسة سلوكًا وممارسة، فإنه يمكننا أن نلاحظ المفارقة العجيبة بين الموقف النظري والموقف العملي لدى الطرق الصوفية من السياسة، فالأدبيات السياسية للطرق الصوفية نادرة، والشائع هو القول: إن الفكر الصوفي في جوهره يقوم على قيم تباين المشاركة السياسية، بحكم الطبيعة التربوية الأصلية للتصوف وخياراته الفردية وتوجهات بعض طرائقه نحو الانعزالية التي تُفضي إلى عدم الاهتمام بالشأن العام وأمور الحكم، ولكن تحول التصوف إلى حالة شعبية وظهور الطرق حوَّل التصوف من ممارسة نخبوية لمجموعة من الزهاد والنساك إلى حالة شعبية عبرت عن نفسها في علاقة ظاهرها التربية والصحبة في الله (الإخوان) وحقيقتها تشكيلات اجتماعية دينية متضامنة تمارس طقوسًا موحدة. (صبحي ودادي، ٢٠١٩، موقع الكتروني)

ثانيا: رجالات الطريقة :

كأي حركة دينية، كان للنقشبندية، عبر تاريخها الطويل وفي مختلف البلدان ، رجال قاموا مقام المفكرين والعلماء والقادة ، سنتناول بالبحث بعضهم وذلك لكثرتهم ولانه ليس موضوع البحث لكي نركز عليه اهتمامنا. ابرز رجال النقشبندية:

١- احمد بن عرفان الشهيد: (ت ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠م) من مشاهير الهند ، دعا الى الدين الخالص ، وحث على الجهاد والتضحية في سبيل الله، وتأسيس حكومة شرعية في الهند على منهاج الخلافة الراشدة.(محمد احمد، ١٩٨٧، ص٦٩)

٢- احمد بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخانوي النقشبندي: (١٣١١هـ/١٨٩٣م) ولد في كمشخانة بولاية طربزون ، وتعلم بالاستانة ، ثم انصرف الى الوعظ والارشاد والتاليف، ثم رحل الى مصر حيث أقام فيها ثلاث سنوات ، أنشأ خلالها مطبعة لطبع الكتب وتوزيعها مجانا على فقراء

العلماء. ثم عاد الى الاستانة ، وانشاء فيها ثلاث مكتبات للجمهور، وظل ينشر العلم حتى وفاته، له نحو خمسين كتابا .(محمد احمد، ١٩٨٧، ص٦٩)

٣- خالد بن حسين الشهرزوري العثماني الشهير بذي الجناحين(١٧٧٩م/ ١٨٥٣م) ولد في قرية قرة داغ من السليمانية في شمال العراق. نشأ في تلك القرية حيث قرأ القرآن ودرس الصرف والنحو والفقه على مذهب الشافعي. برع بالنثر والنظم ، ومال منذ نعومة اظفاره الى الزهد والاقبال على الجوع والسهر منقطعا للعبادة والتبتل . كان ظهور الشيخ خالد البغدادي في ذلك العصر دور كبير في منع انتقال تلك التيارات الى بلاد المسلمين. فكان البغدادي على رأس المرشدين الذين واجهوا تلك التيارات في تلك الحقبة الحساسة المهمة.(عثمان نوري، ٢٠١٧، ص٣٥٥)

٤- عبد الغني بن اسماعيل النابلسي النقشبندي(١٦٤١م/ ١٧٣١م)ولد في دمشق وفي الثانية عشر من عمره توفي والده ، فنشأ يتيما. قرأ الصرف والنحو والمعاني والبيان والفقه والتفسير وسائر علوم عصره على مشاهير العلماء الدمشقيين .وسلك الطريقة على يد الشيخ سعيد البلخي، ترك العديد من المصنفات التي تعالج موضوعات متنوعة : من صوفية الى شرعية الى ادبية، كما انها تشتمل على مناظرات بين فئات اسلامية مختلفة.(محمد احمد، ١٩٨٧، ص٩٥)

٥- عمر بن عبد الغني الرافعي الفاروقي: (١٨٨١م/) ولد في مدينة صنعاء وكان والده رئيسا لمحكمة الاستئناف فيها، درس في طرابلس اولا ثم في بيروت حيث نال الشهادة الاعدادية. بعد ذلك درس الحقوق في استنبول ، كما سافر الى القاهرة لتكملة دراسته في ازهرها. مال الى سلوك الطريقة النقشبندية.وترك مؤلفات عديدة في ذلك .وكان للرافعي نظرة دينية وقومية، فعندما كان مستنطقا لمدينة صيدا حاول انشاء ميتم يضم اليتامى والمشردين الذين نكبتهم الحرب العالمية الاولى، وكان من الداعين الى التقريب بين أهل السنة والشيعة في لبنان. (محمد احمد، ١٩٨٧، ص١٢٠)

كما أظهر أتباع الطريقة من الأكراد الكثير من التشدد، حيث تمرد الشيخ عبيد الله ابن طه ورفاقه في كردستان الإيرانية أواخر القرن التاسع عشر ، إذ كان مظهرًا من مظاهر العداء النقشبندي التقليدي للتوجهات الشيعية انذاك ، في حين أن الشيخ سعيد من ديرسم سعى ضد توجه النظام الجمهوري التركي في عام ١٩٢٥ إلى استعادة الخلافة. ولا يبدو ان الطابع القومي الكردي هو الدافع وراء هذه الحركات وما شابهها.

في الشرق الأقصى أيضًا ، لعب اتباع الطريقة النقشبندي دور مهم في مقاومة المسلمين للهيمنة الأجنبية: اذ شاركوا بشكل بارز في حروب ضد الوجود الهولندي ؛ وحاربوا الحكم التايلاندي في أقصى شمال شبه جزيرة الملايو. وساهموا في ظهور التشدد الإسلامي في جنوب الفلبين.

لم يكن ربط معارضة الجماعات المسلحة للهيمنة الأجنبية إلى الطريقة النقشبندية من فراغ ، فواحدة من اقوى حالات المقاومة الإسلامية في أوربا كان الكفاح الذي دام خمسة وعشرين عامًا من قبل الإمام شامل داغستان ضد الغزاة الروس في شمال القوقاز. كان الثالث في سلالة مشايخ النقشبندية الذين اشتقوا من فرع الرهبنة في الشمال الشرقي تركيا والتي تسببت في هجرة متسلقي الجبال القوقازيين عاداتهم القبلية لصالح الشريعة وكذلك تجنيدهم ضد الروس.

بعد هزيمة شامل في عام ١٨٥٩ ، استؤنفت المقاومة الداغستانية بشكل متقطع في ظل قيادة نقشبندية اخرى ، وحتى عندما قامت جمهورية إسلامية قصيرة العمر في شمال القوقاز بعد سقوط الملكية الروسية ، كان يقودها أيضًا شيوخ النقشبندية. أخيرًا ، يمكن ذكر مساهمة النقشبندية في محاولات المسلمين للتخلص من الحكم الصيني في مناطق (شنسي وكانسو وسينكيانغ). كما يوجد دليل على بقاء النقشبندية في كل من الاتحاد السوفيتي والصين ، رغم قمعهما استمرا يلعبان هناك دور مماثل في الحفاظ على التقاليد الإسلامية. (Hamid Algar,1976,pp152)

ويرى د. عمار علي حسن ان الفكر الصوفي يقوم كفكر ديني ، على اربعة اركان هي " الزهد والمعرفة والمحبة والولاية "، وينتج ثقافة سياسية معينة يربى عليها المريدون المنخرطون داخل الطرق الصوفية المتعددة. والعلاقة بين السياسة وبين الفكر الصوفي علاقة سببية في حال الزهد، فالزهد مخلوق من رحم السياسة كما انه ينتج سلوكا سياسيا في بعض المواقف والمواضع، منه ما هو ايجابي ومنه ما هو سلبي . وفي حال الولاية تصبح العلاقة بين الفكر الصوفي والولاية هي علاقة "تاثير" لان الولاية تفرض نوعا محددا من الممارسة السياسية داخل التنظيمات الصوفية (الطرق).(مجموعة باحثين، ٢٠٢٠، ص٣٠٠)

ويعتبر جيش رجال الطريقة النقشبندية الوريث الشرعي للطرق الصوفية التي سبقته في الدخول للعمل المسلح، ومن خلاله الى معترك السياسة، اذ يعد هذا الجيش تنظيما هرميا كلاسيكيا من الناحية العسكرية، بالرغم من اعتماده تكتيك "حرب العصابات" في القتال، ويتكون هيكله التنظيمي من هيئة شرعية تراقب عمل التنظيم من الناحية الشرعية، وهيئة أركان عامة تقود العمل العسكري يتزعمها "أمير الجيش" وتتألف من مجاميع وسرايا قتالية ومختصة بحسب أنواع الأسلحة، وهيئة إعلامية تقوم بتوثيق ونشر عمليات التنظيم العسكرية ونشر البيانات الصحافية وإدارة الموقع الإلكتروني للجماعة.

وتشير التقديرات غير الرسمية إلى أن الجماعة تضم ما يقرب من ٥ آلاف مقاتل، في السنوات الأولى من نشاطه بدأ جيش النقشبندية في شكل "مجاميع جهادية قتالية صغيرة (من ٧ إلى ١٠مجاهدين)، ولكل مجموعة أميرها الميداني من أهل المنطقة وكل المجاميع في المنطقة يكون لها أمير. وكل أمراء

المناطق في كل محافظه لهم (أمير المحافظة)، وكافة أمراء المحافظات يرتبطون روحيا وعسكريا بأمير الجهاد العام وهو شيخ الطريقة النقشبندية ، الذي يعمل بإمرته مجلس قيادة العمليات، والذي يضم عددا من المجاهدين من ذوي الخبرة والاختصاص، كقادة ميدانيين لقواطع العمليات وكمستشارين عسكريين لإعداد الخطط والتدريب والتطوير والمتابعة".(جيش الطريقة النقشبندية، ٢٠٢٠، موقع الكتروني)

ثالثا: مستقبل الطريقة:

ان التصوف تجربة دينية متأصلة في الانسان بحكم طبيعته وحمله الأمانة منذ بدء الخليقة، فقد قال الله تعالى: وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. وجاء في كثير من كتب التفسير ليعبدون بمعنى "ليعرفون"، وبذلك كانت المعرفة ، وهي غاية التصوف، هدفا للإنسان بفطرته وان اختلف أفق المعرفة ونوعها باختلاف مستويات الافراد.(منال عبد المنعم، ١٩٩٠،ص٢٥٧)

ويعتبر السيد محمد احمد درنيقة ، الطريقة النقشبندية ، من الطرق الصوفية المعتدلة التي تنأى عن كل انحراف وتطرف ، وتحاول ان تجعل مبادئها تستند الى الشريعة الاسلامية، وتظهر التزامها بما قرره القران الكريم وما دعت اليه السنة النبوية ، ولئن حمل البعض على مبدأ الرابطة الذي ترتكز اليه الطريقة ، فإن هذه الرابطة لا تعني اكثر من محبه المريد لشيخه الذي يدله على الطريق السليم للوصول الى الفتوح . (محمد احمد، ١٩٨٧، ص١٧٣)

هذه المفاهيم المختلفة للتصوف من الغرب والشرق لها ميزتان مشتركة: أولا ، المبالغة في الخصائص الثانوية كالشكل والتعبير على حساب المحتوى والجوهر. هكذا علامات انحطاط في بعض المظاهر من الصوفية المنظمة يعتقد كل من المسلمين والمستشرقين لتكون نموذجية للظاهرة برمتها ، وبالتالي إلى توفير أسباب لإدانة الصوفية . ثانيًا ، هناك افتراض بأن الصوفية اليوم آخذة في الانحلال أو حتى لو كانت حية فانها تحتضر، اذ لم يعد كيانًها متماسكًا مع ما تدعيه.(Hamid Algar,1976,pp125)

وتواجه الحركات الصوفية حربا فكرية من قبل باقي المذاهب الإسلامية ، ومنها السلفية .ومن ضمن الخلافات الجوهرية بين الفريقين، النقد الشرس القاسي من قبل السلفية للتصوف، ولكل ما يعتبر من،« علوم الباطن » ووصفهم لصوفيين بأنهم من أهل البدع والضلالات، والتعريض بهم في المساجد وفي الكتب وفي الدروس العلمية، وتركيز السلفيين على رفض التوسل بغير الله، وانتقاد زيارة أضرحة الأولياء والصالحين، وهي من السلوكيات والطقوس الصوفية المعروفة، واعتبارهم أن كل ما

في الطرق الصوفية بمثابة ضلالات وبدع، لا يوجد عليها أي دليل من مصادر التشريع الإسلامية من القرآن والسنة. (محمد ابو رمان، ٢٠٢٠،ص٦٨)

لكن مع ذلك، هناك رأي مغاير يؤكد انتشار الطرق الصوفية في الدوائر المحيطة بالمركز السياسي والديني، أي اتخذت موقعا مع أجسام اجتماعية أخرى معارضة للمركز في هوامش الجغرافيا. فانتشرت مع المدّ الشيعي في شرق العالم الإسلامي كما في غربه. ولئن مثّل المدّ الشيعي دائما هامش المعارضة العلنية الثائرة للمركز السياسي والديني مستثمرا خط الحسين ورمزيته، فقد صمت الإسلام الطرقي ومثّل خط "الاعراض" وليس المعارضة، وخط الحسن. ولعل أهم دليل على ذلك منطقة الغرب الإسلامي التي مثلت هامشا جغرافيا لممارسة المعارضة الدينية والسياسية منذ الأمويين وصولا إلى الفاطميين. وفي الأثناء عشش الإسلام الطرقي في هذا الهامش المناسب جدّا للاستمرار. يبدو أن دلالة الانزواء في الاسلام الطرقي باعتبارها مبدأ عقديّا وسلوكيّا تتناغم مع انزواء هذا الجسم الاجتماعي. فاختار عبر تاريخه هوامش الدولة والمجتمع. ما يكشف عن رؤية هذه الجماعة للمجال الجيوسياسي، فتختار موقع استقرارها بوعي أو عن غير وعي في هوامشه. ويظهر ذلك في موقع الخطاب كما رأينا، وفي موقع الجماعة تاريخيا، ثم في موقع الزاوية. فأغلب الزوايا التي رأيناها تكون في أحياء شعبية لا ترتبط بمركز المدينة.(حسن المرزوقي، ٢٠١٢، ص٣٩) ويرى الباحث ان الطرق الصوفية اتخذت اتجاهات شتى منها ما انزوى عن سبل السياسة الوعرة ومنها ما انخرط فيها وانغمس في ثناياها المختلفة.

ويرى د. لطف الله عبد العظيم خوجه:" ان الافكار الصوفية القديمة هي نفسها الموجودة اليوم ، وما يحاول الصوفية اخفاءه ، غير خاف، فالامر واضح ، فما عند الصوفية لم يتغير ولم يتطور منذ عهد ابن عربي ، ولا أعتقد ان الافكار الصوفية ، وهي التي نشأت وقامت في بلاد الوثن والصنم ، ثم انتقلت الى المسلمين ليبتلي الله بها عباده ، قد حدث فيها شيء من التغيير الى الاحسن، وذلك ظاهر من واقع ماعليه أهل التصوف".(لطف الله، ٢٠٠٩،ص١٣٧) فالتصوف عند خوجة لم يأت بجديد وانه فكر جامد لم ولن يتغير.

ان المستقبل السياسي للطريقة النقشبندية (بصورة خاصة) والصوفية (بصورة عامة) يخضع لاسقاطات الطريقة نفسها على ذاتها وعلى المجتمع الذي تنشط او تتواجد فيه ، فمثلا في موضوعة التنشة السياسية، يلاحظ د. عمار علي حسن انها تؤدي الى :

- تدعيم قيم التسلط نظرا لوجود نموذج معرفي يخلق عقلا مغلقا يدعي امتلاك الحقيقة لانه على اتصال مباشر بالذات العليا .
- تكريس قيم الخضوع والاستسلام للسلطة نظرا لصعوبة إمكانية القيام بعمل جماعي ضدها، فحين تسود العرفانية يصبح كل شيء حدسي يكون الجميع مجردين من السلطة التي ينتجها العقل ويحميها.
- تقود المعرفة الصوفية الى تقديس الاشخاص، فالشخص الذي تدرج في مراتب التصوف حتى يبلغ منزلة مرموقة تحيط به هالة من الاغترار بالاصطفاء خاصة ان هذه المعرفة الحدسية لا يمكن التحقق من صدقها او زيفها .(مجموعة باحثين، ٢٠٢٠، ص٣٠٧)

ويذهب الكاتب نايل جرين انه على الرغم من توقُّعات الباحثين في منتصَف القرن العشرين باختفاء الصوفية سريعًا في ظلِّ موجةِ أشكالِ الإسلام الأكثر « حداثةً » هذه، فمن خلال سلسلةٍ من التكيُّفات مع التقنيات والمجتمعات السكانية الجديدة في القرن العشرين، نجَتِ الصوفيةُ من هجومِ مُنتقِديها، حتى وإن فقدَتْ عددًا هائلًا من أتباعها في هذه العملية.

أما في بيئات العولمة في القرن الحادي والعشرين، فما يَربط كلَّ الحركات الصوفية النَّشِطة الآن في أوروبا وأمريكا الشمالية، بالإضافة إلى المناطق الإسلامية القديمة، هو استخدامُها الفعَّال للتقنيات الحديثة والأنماط التنظيمية الجديدة لنَشر رسالتها؛ ففي مدن المغرب، يُقابِلُ الشيوخُ الصوفيون مُرِيدِيهم في أغلب الأحيان في أماكن أكثر شَبهًا بقاعات المؤتمرات، التي تُعقَد فيها ندواتُ عالَم الأعمال، منها بالتجمعات الطقسية التي كانت تُميِّز الفترات القديمة، في حين أصبح من الأرجح أن تجد تجمُّعاتِ طقوسِ الموسيقى والغناءِ الصوفيَّيْن في لوس أنجلوس وليس في شيراز.(نايل جرين، ٢٠١٧، ص٢٦٥)

ولطرح وجة نظر الذراع العسكري للطريقة او ما يسمى جيش الطريقة النقشبندية بمستقبل العراق ، اشار (صلاح الدين الايوبي)الناطق الرسمي لهذه المجموعة ، في لقاء مع قناة الحلم العربي ، الى ان جيش رجال الطريقة النقشيندية اجبروا المحتلين على الهزيمة من العراق، ولكنهم ابقوا على الالاف من جنودهم تحت مسميات اخرى كمدربين وحماية سفارتهم وغيرها ليديروا من خلال هولاء مصالحهم واجنداتهم في تفتيت العراق وتقسيمه واضعافه واضعاف الامة العربية والاسلامية، ويضيف الايوبي : سنجاهد هذا الاحتلال واذنابه وبقاياه وصوره تحت اي مسمى وفي اي منطقة من بلادنا. (مجلة النقشبندية، ٢٠١٢، ص٢٢) ومن هنا نرى ان مستقبل الطريقة النقشبندية في العراق ارتبط مع وجود او ظهور المتغير الاجنبي والمتمثل بالقوات الاجنبية ، عبر جناحه العسكري للطريقة الذي قاوم

المحتلين ورفض العملية السياسية، رغم ارتباطها اولا بالبعث (المنبوذ شعبيا) والقاعدة وتنظيم داعش ثانيا.

الخاتمة

تفرع عن الدين الاسلامي الكثير من الملل والنحل والطوائف، كلها تدعي الحق والافضلية عمن سواها ومن تلك التوجهات كانت الصوفية ، بطرقها الشتى والتي تأثرت وأثرت في المحيط الاسلامي الذي ظهرت فيه وانتشرت وقوت شوكتها .

ان الطريقة النقشبندية من الطرق الصوفية المهمة ، والتي لها في العراق جذور قوية ، كما باقي الطرق والمذاهب الاسلامية .

هذه الطرق لم يكن لها دور سياسي مهم يذكر قبل عام ٢٠٠٣، حيث كان النظام السياسي قائم على أسلوب علماني في الحكم ، ولم يقرب اليه أي مذهب او طريقة دينية ،رغم انه نحى منحى إسلامي اخر سنواته وقبيل الحرب التي شنتها القوى الغربية على العراق ، لاستماله مشاعر المسلمين داخل وخارج الوطن ، ونيل الدعم والمساندة التي يحتاجها.

لكن بعد عام ٢٠٠٣ وزوال النظام ودخول قوى جديدة على الساحة العراقية ، برزت قوى مع الاحتلال واخرى ضده، وهذه الاخيرة هي التي قاومت الوجود الاجنبي ، وتكونت من بقايا النظام وجماعات اسلامية مسلحة ، وجدت في الجيوش الاجنبية احتلالا لبلد مسلم من قبل كافر غاصب.

ومن بين تلك الجماعات الاسلامية المسلحة ، جماعة جيش الطريقة النقشبندية ، الذي خاض صراعا متعدد الجبهات ، فكان له حربا مستمرة مع قوات الاحتلال، وصراعات مع باقي الحركات الاسلامية المسلحة التي دخلت الى العراق كتنظيم القاعدة وتنظيم داعش ، فيما بعد.

وفي ختام الدراسة ، نصل الى استنتاج اساسي يكشف ان الحركة الصوفية في العراق تغيرت ولم يعد لها دور مهم ، وحتى بعد الاحتلال ، كانت الطريقة النقشبندية رغم رفعها السلاح بوجه الاحتلال والحكومات الداعمة له ، ولم تتمكن بمفردها ان تقف لهذا الامر بل اندمجت ضمن مجموعات مسلحة اخرى ، عرفت بسفكها للدم العراقي.

المصادر

1. Hamid Algar, The Naqshbandī Order: A Preliminary Survey of Its History and Significance, Maisonneuve & Larose,1976, Stable URL: http://www.jstor.org/stable/1595445,pp152

٢. أبو الفضل الاسناوي، الطرق الصوفية في مصر وموقف الشارع المصري منها، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، مصر ، بلاتاريخ.

٣. احسان ابهى ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، ادارة ترجمان السنة، ط١، باكستان، ١٩٨٦.

٤. بلحمام نجاة، ظاهرة التصوف الايجابي في فكر محمد اقبال، اطروحة دكتوراه، جامعة وهران،الجزائر، ٢٠١٢ .

٥. جيش "الطريقة النقشبندية".. "الرقم المبهم في العراق"، بوابة الحركات الاسلامية، ٢٠٢٠، الرابط: https://www.islamist-movements.com/2872

٦. حسن المرزوقي، الإسلام الطرقي ومستويات التأصيل، دراسة في دورية عمران، العدد٢،، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢.

٧. حسين جمو، النقشبندية الكردية في ظل الجمهورية، المركز الكردي للدراسات ، الرابط: http://www.nlka.net/news/details/528

٨. رأفت صلاح الدين، صوفية العراق، موقع صيد الفوائد، الرابط: http://www.saaid.net/feraq/sufyah/105.htm

٩. سهير محمد يوسف، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا-جامعة بيرزيت، فلسطين، ٢٠٠٦.

١٠. شيخ الاسلام ابن تيمية، الصوفية والفقراء، تقديم :د.محمد جميل غازي، دار المدني، القاهرة-مصر.

١١. الشيخ ثاني عبدالكريم الفكيكي، الطرق الصوفية في العراق، مجلة صدى النهرين، العدد ١٠، كانون الاول-٢٠٠٩، ديوان اوقاف المسيحيين والديانات الاخرى، الرابط: http://www.cese.iq/sada_alnahrayn/sd-10/CESE-sd-10-7.htm

١٢. الشيخ فريد الدين آيدن ، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرِها ، موقع السلفيين الاتراك، الرابط: http://www.ikraislam.com

١٣. الشيخ محمد امين الكردي الاربلي، الهداية الخيرية في الطريقة النقشبندية، مطبعة الحبانية، ١٣١٦هـ.

١٤. صادق الطائي، الصوفية في العراق: جدل الدين والسياسة، موقع صحيفة القدس العربي، ٢٠١٧، الرابط: https://n9.cl/3ndao

١٥. صبحي ودادي، الطرق الصوفية في غرب إفريقيا والإسلام السياسي.. تعاون أم تنافس؟،٢٠١٩،مركز الجزيرة للدراسات، الرابط: https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2019/03/190314140838046.html

١٦. الطريقة النقشبندية، المستودع الدعوي الرقمي ، الرابط: https://dawa.center/religion/59

١٧. عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية، الطريقة النقشبندية، موقع الفرقان، ص١١، الرابط: www.frqan.com

١٨. عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها واثارها، دار كنوز اشبيليا للنشر، ط١، الرياض-السعودية، ٢٠٠٥.

١٩. عثمان نوري طوباش، السلسلة الذهبية للطريقة النقشبندية ، ترجمة :محمد عز الدين سيف، مطبعة دار الارقم، اسطنبول–تركيا، ٢٠١٧ .
٢٠. عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المنهج الصوفي بين الطرقتين النقشبندية والشاذلية دراسة تحليلية مقارنة، اطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم –جامعة القاهرة، ٢٠١٨.
٢١. عمر احمد ، ماهي الصوفية وماهو التصوف، موقع الصوفية اليوم، الرابط: https://n9.cl/uzdnx /
٢٢. عمر عبد العزيز قريشي، شبهات الصوفية ، دار الهدى، الهرم –مصر، بلاتاريخ.
٢٣. عمر فروخ ، التصوف في الإسلام، مكتبة ميمنة، ط١، بيروت–لبنان، ١٩٤٧.
٢٤. فاهم نعمة الياسري و حسنين عبد الكاظم عجة، الاسهامات السياسية لمتصوفة المغرب الاقصى في العصر الحديث، مجلة كلية التربية–جامعة واسط، العدد١٢، ٢٠١٢.
٢٥. لطف الله بن عبد العظيم خوجه، الانسان الكامل في الفكر الصوفي، دار الهدي النبوي، ط١، مصر ، ٢٠٠٩.
٢٦. لطف الله خوجة، موضوع التصوف، سلسلة البحوث المحكمة(١)، مكتبة الملك فهد، السعودية،١٤٣٢هـ.
٢٧. لقاء مع المتحدث الرسمي لجيش رجال الطريقة النقشبندية اجرته قناة الحلم العربي، مجلة النقشبندية، العدد٦٧، ٢٠١٢ .
٢٨. ليلى قراوزان و محمد زمري، التصوف في مرآة معاصرة، مجلة جامعة النجاح للابحاث(العلوم الانسانية)، المجلد٢٧، فلسطين، ٢٠١٣ .
٢٩. مجلة النقشبندية، مجلة تصدر عن جيش الطريقة النقشبندية، العدد ٩٣، ربيع الثاني ١٤٣٦هـ/ شباط ٢٠١٥م.
٣٠. مجموعة باحثين، الصوفية اليوم قراءات معاصرة في مجتمع التصوف ونماذجه، مؤسسة فريدريش ايبوت، الأردن، ٢٠٢٠.
٣١. محمد أبو رمان، اسرار الطريق الصوفي، مؤسسة فريدرش ايبرت، ط٢، الأردن ، ٢٠٢٠.
٣٢. محمد احمد درنيقة، الطريقة النقشبندية واعلامها، جروس برس للنشر، طرابلس–لبنان، ١٩٨٧.
٣٣. محمد الطاف الدكتور ابو بكر ، دور التصوف في الامن والسلام الاجتماعي، مجلة قسم العربي، جامعة بنجاب، العدد٢٤، لاهور–باكستان، ٢٠١٧.
٣٤. محمد علي ابو ريان، الحركة الصوفية في الاسلام، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية –مصر، ١٩٩٤.
٣٥. منال عبد المنعم السيد ، أثر الطريقة الصوفية في الحياة الاجتماعية لاعضائه ، أطروحة دكتوراه، كلية الاداب– جامعة الإسكندرية، مصر، ١٩٩٠.
٣٦. نايل جرين، الصوفية نشأتها وتاريخها، ترجمة:صفية مختار، مؤسسة الهنداوي للنشر، المملكة المتحدة،٢٠١٧.
٣٧. النقشبندية الكردية في ظل الجمهورية.. من "كردستان للكرد" إلى "كلنا مسلمون، المركز الكردي للدراسات، الرابط: http://nlka.net/pdf/14254605451527324550.pdf